

برنامج : توثيق اللغات العربية الجنوبية الحديثة وتحليلها

(لغويا وإثنيا)

يهدف هذا البرنامج الممول من قبل منظمة ليفرهولم البريطانية إلى توثيق "اللغات العربية الجنوبية الحديثة" ، وهي لغات سامية تحكى في جنوب اليمن وشرقها، كما في غرب سلطنة عمان، وفي أطراف جنوبية من المملكة العربية السعودية، ويعود أصلها إلى اللغات السامية الجنوبية التي تشمل أيضا اللغات السامية الإثيوبية ، و"اللغات العربية الجنوبية القديمة" ، وتتفرع من اللغات السامية الوسطى: اللغة العربية الحالية واللغتين اللآرامية والعبرية.

تواجه ثقافة هذه المجتمعات تحديات حقيقية في خضم التطورات والمتغيرات المعاصرة كالتوسع العمراني، والانفتاح التجاري، وارتفاع المستوى المعيشي للفرد، ناهيك عن ترسيخ اللغة العربية في المناهج الدراسية، وكذلك التحولات الاجتماعية-الاقتصادية والسياسية والتي انعكست سلبا على هذه اللغات وأدت إلى اضمحلالها وتخلي أبنائها عنها بشكل ملحوظ، مع العلم أن معدل الانقراض عند هذه اللغات متفاوتا من لغة إلى أخرى: فاللغة المهرية يقدر عدد الناطقين بها بحوالي مئة ألف شخص رغم أنه من الصعب الحصول على رقم دقيق للناطقين بها لوجودها بين حدود ثلاث دول، علما أن هناك كثيرا من المهريين لا يجيدون اللغة المهرية؛ وأما اللغة السقطرية التي تحكى في جزيرة سقطرى فيصل عدد الناطقين بها إلى ما يربو عن خمسين ألف نسمة حيث أن هنالك المئات من الناطقين بها هاجروا إلى الخليج؛ وأما اللغة الشحرية في ظفار والتي تعرف أيضا باسم اللغة الجبالية، فإن عدد الذين يتكلمون بها يصل إلى ما بين عشرين إلى ثلاثين ألف شخص؛ كما أن الحرسوسية التي تتكلم في منطقة جدة الحراسيس وسط سلطنة عمان، فيقدر عدد الناطقين بها ألفا ونيفا؛ وأما لغة الهوبيوت فتوجد في أقصى شرق اليمن، وأقصى غرب السلطنة، وعدد الناطقين بها دون الألف شخص؛ في حين لا يتعدى عدد من يتكلمون البطحيرية بطلاقة عشرين شخصا. ومن الجدير بالذكر أن جميع من يتكلمون بهذه اللغات يجيدون التكلم باللغة العربية. إن هذا البرنامج -الذي سيستمر مدة 3 أعوام- يهدف إلى توثيق أربع لغات: البطحيرية (الأكثر عرضة للزوال)، والهوبيوت، والحرسوسية، والشحرية، بالإضافة إلى نصوص مهريية ويهدف إلى إصدار معجم مقارنة يتضمن ألف مصطلح ثقافي يقارن بين اللغات الست ، كما سيسعى البرنامج إلى القيام بمخطط لغوي يقارن بين هذه اللغات من حيث الصرف والتراكيب اللغوية.

وقد تبين أسلوبياً أن "اللغات العربية الجنوبية الحديثة" تحتفظ بعناصر صوتية وصرفية ملحوظة في اللغات السامية القديمة قد تلاشت في غيرها من اللغات السامية الحديثة، وتتميز كذلك ببعض الابتكارات اللغوية التي لم تكتشف في اللغات السامية الأخرى. فمثلا تتميز باستخدام الضمائر وتصريف الأفعال للدلالة على العدد، الذي ينقسم إلى ثلاثة أقسام (مفرد، مثنى، جمع). وأما الفعل في "اللغات العربية الجنوبية الحديثة" فإنه يميز المرفوع من المنصوب في الفعل المضارع وهذه الظاهرة قد اختلفت من اللغات السامية الأخرى ، ويشيع استخدام الحرف الدال على الاستمرارية قبل الفعل الماضي للدلالة على ابتداء الشيء في الماضي واستمراره في الحاضر، وهذه الخاصية لم يعثر عليها في غيرها من اللغات السامية. وتتميز كذلك "اللغات العربية الجنوبية الحديثة" عن سائر اللغات السامية الحية باستخدام ثلاثة أحرف صغيرية وهي: السين والشين، والشين الجانبي الاحتكاكي ، ويعتقد أن هذا الصوت يوجد في اللغات السامية الأم.

وتحمل "اللغات العربية الجنوبية الحديثة" مفردات تبين علاقاتها باللغات السامية-الإثيوبية ويظهر ذلك جليا في اللهجات العربية المحافظة شمال اليمن وجنوب السعودية ، وتوحي لنا هذه العلاقة بهجرة سكانية حدثت قديما باحتكاك هذه اللغات بلغات أخرى. ومع بداية ظهور الإسلام احتلت اللغة العربية مكانة عالية وحلت محل اللغات الأخرى في الجزيرة العربية

مما أحدث تنوعا في اللهجات العربية لا يفهمه حتى الآن اللغويون فهما جيدا. لذا فإن توثيق هذه اللغات ودراستها تاريخيا ووصفيا أمر في غاية الأهمية لإدراك التطورات والمراحل التاريخية التي مرت بها اللغات السامية ككل.

وإلى جانب أهمية هذه اللغات في علم اللغات السامية، فإن توثيقها يعد مهمةً في تدوين عادات المجتمعات وتقاليدها التي بدأت تتلاشى شيئا فشيئا ، فتوثيق اللغات يتيح فرصة التعرف على ثقافة مجتمعاتها وطبائعها عن كثب قبل أن تندثر. سيثير هذا البرنامج اهتمام علماء اللغة ، والمؤرخين ، وعلماء الأنثروبولوجيا ، وعلماء الاجتماع ، وعلماء البيئة والحيوانات ، كما سيهم متخصصين في مجالات أخرى، وسينال إعجاب أبناء هذه اللغات للحفاظ على تراثهم في عالم وتيرته سريعة جدا.

هنالك أكثر من 700 نص نشر باللغة المهرية تضمنت روايات وحكايات شعبية ، وأحداثا تاريخية، وشعرا وأغان ، ونصوص وصف الثقافة. أما بالنسبة للغة السقطرية ، فقد سجلت الدكتورة ميرندا موريس حوالي ألف أغنية وقصيدة شعرية ، وتوجد كذلك نصوص مكتوبة جمعتها كل من ميرندا موريس والبعثة الروسية. وفيما يتعلق بالحرسوسية، فقد ألف الكاتب الهولندي سترورم كتابا صدر عام 2004م نشر فيه عددا من النصوص الحرسوسية التي جمعها اللغوي المشهور جونستون. ولكي يكون أرشيف لغوي يمكننا من إجراء بحث شامل حول "اللغات العربية الجنوبية الحديثة"، فإنه من الضروري العمل على جمع قدر كبير من النصوص والتسجيلات للغات الأقل حظا من حيث التوثيق وهي البطرية والحرسوسية والهوبيوت والشحية.

فبالتعاون مع باحثين من أرياب اللغة، سيتم جمع تسجيلات صوتية وبعضها صوتية-مرئية تتراوح مدتها من خمس عشرة إلى عشرين ساعة لكل لغة من اللغات الأربع مع التركيز على بعض المواضيع الثقافية. وهناك أربعون بالمئة من هذه التسجيلات ستم كتابتها وترجمتها إلى كل من العربية والإنجليزية إلى جانب شرحها. ولتسهيل عملية المقارنة بين قواعد اللغات وبين المفردات المعجمية، ستخضع النصوص الجديدة للدراسة وستتم مقارنتها ببحوث سابقة تناولت "اللغات العربية الجنوبية الحديثة"، وستشمل النصوص أحداثا شخصية أو محلية، تلقي الضوء على مواضيع تتعلق بفترة ما قبل وسائل النقل الحديثة (1970م) كإدارة المواشي، والزراعة ، وصيد الأسماك، وعملية استخراج الحليب، والطهي، وأسماء المواقع الجغرافية، وإدارة الرعي ، والمياه، والحرف التقليدية ، وآداب التحايا والسلام، والألعاب، وحصاد التمر (الحرسوسية والبطرية)، وحصاد اللبان (اللغات الأخرى غير الحرسوسية والبطرية). في هذا المجال ، قامت الدكتورة ميرندا موريس منذ ما يقرب من ثلاثين إلى أربعين عاما بتسجيل نصوص صوتية تضم البطرية والشحية والمهرية والهوبيوت ، لذا سنقارن بين النصوص الجديدة والنصوص القديمة التي سجلتها ميرندا موريس بغية متابعة التغيرات التي طرأت على هذه اللغات. وسنقوم أيضا بالتقاط صور فوتوغرافية تتعلق بالجوانب الثقافية وعالم الحيوانات والنباتات مع بعض الشروح التوضيحية.

كما أن التسجيلات التي تم شرحها وكتابتها وترجمتها سوف تحفظ في أرشيف اللغات المهددة بالانقراض بمعهد الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن <http://www.hrelp.org/archive/>: وستنشر هذه الأعمال في كتاب. وكما ستكون مجموعة مختارة من التسجيلات متاحة للجميع على الموقع الإلكتروني للبرنامج وأرشيف اللغات السامية بجامعة هايدلبرج الألمانية <http://www.semarch.uni-hd.de/index.php43?lang=en> ومواقع محلية أيضا . ومن أهداف البرنامج، إصدار معجم مقارن يحتوي على ألف مصطلح ثقافي لكل لغة من "اللغات العربية الجنوبية الحديثة" ، وسيتم اختيار المصطلحات من النصوص المسجلة، والحقول الدلالية. أما بالنسبة للغات التي تتفرع منها لهجات ذات فوارق لغوية شديدة

الوضوح فإنه سيشار إلى تلك الفوارق مع ذكر ما يقابلها في اللهجات الأخرى ، وسيستخدم الأحرف اللاتينية والعربية في كتابة المعجم بالإضافة إلى ترجمته إلى كلي من العربية والإنجليزية.

وأخيرا لايسعنا سوى أن نأمل بأن تستمر الجهود في توثيق اللغات العربية الجنوبية الحديثة وثقافتها على أيدي أبناء مجتمعاتها على أمل أن يستمر التوثيق لأزمنة طويلة بعد انتهاء مدة هذا البرنامج.

=====